

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَىٰكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تعلّق هذه الآية
بما قبلها نحوياً
ودلالياً، لبيان
الاختبار في
الإقدام والفرار

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه هو الذي دفع عن المؤمنين هزيمة المشركين يوم أحد، لما خالف بعضهم أمر النبي ﷺ، وفرّ بعضهم من الزحف - وذكر عفوه تعالى عن الجميع بين سبحانه وتعالى في هذه الآية الصورة التي كان عليها المؤمنون في هذه الحالة، وهي فرارهم ذاهبين في الأرض غير ملتفتين إلى أحد، مع أنّ النبي ﷺ كان في أرض المعركة، يدعوهم إلى الثبات، وهم مولّون عن القتال، وأشار السياق إلى أنّ ما فعل بهم ذلك، إلا ليمرّنهم ويدربهم على الشدائد، ولئلا يحزنوا على ما فات، ولا ما أصابهم من عدوّهم، قاله خبير بأعمالهم ومجازيهم عليها، بإنصاف وعدل⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تُصْعِدُونَ﴾: مضارع أَصْعَدَ، أي: تفرّون ذاهبين في الأرض، والإصعاد: هو ابتداء السّفر، ومنه قول العرب إذا استقبلوا سفراً بعيداً: أصعدنا من بلد كذا⁽²⁾، وقيل: وقال الأخفش: أصعد في البلاد: سار ومضى، وأصعد في الوادي: انحدر فيه، وأما صعد فهو ارتقاء⁽³⁾، وقيل: كلّ شيء له أسفل وأعلى كالوادي والنّهر وغيرهما، فيُقَال فيه: أصعد، إذا ذهب الدّاهب من أسفله إلى أعلاه⁽⁴⁾. وقيل:

(1) الرّحيلي، التفسير الوسيط: 1/250.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/525.

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (صعد).

(4) التيسابوري، غرائب القرآن: 2/282.

أصل الإصعاد هو الإبعاد في الأرض مُطْلَقًا، سواءً أكان ذلك في صعود أو انحدار، ثم استُعمل في الإبعاد مُطْلَقًا سواءً أكان حَسِيًّا أم معنويًّا، كقولهم: أَبْعَدَتْ في قولك كذا⁽¹⁾، وقرئت بقراءتين، الأولى بضمّ أوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾، ومعناه أي: تلوون منهزمين في الوادي، والثانية بفتح أوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾، ومعناه أي: تصعدوا الجبل منهزمين، وقال القتيبي: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الهزيمة يقال: اصْتَعَدَ في الأرض إذا أمعن⁽²⁾.

(2) ﴿وَلَا تُلُونْ﴾: أي: لا تعطفون، وأصل اللّي هو إمالة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوَوًا رُءُوسَهُمْ﴾ [النفاقون: 5]، أي: أمالوها، ومنه قيل للرّاية: اللّواء؛ لأنّ الرّياح تلوّوها⁽³⁾، ويقال: فلان لا يَلْوِي على أحد إذا أمعن في الهزيمة، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تُلُونْ عَلَى أَحَدٍ﴾، وذلك كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يوم بدر:

تَرَكَ الْحَبَّةَ أَنْ يَفَاتِلَ دُونَهُمْ *** وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَةٍ وَلِجَامِ⁽⁴⁾.

ومعنى ﴿وَلَا تُلُونْ﴾ في السياق: " عفا الله عنكم في الوقت الذي وقعتم فيه في الفوضى والاضطراب، وأصبحتم تسيرون في بطن الوادي لا تقصدون، ولا تبتغون أمرا، ولا تتبّعون غاية، أيّا كانت، بل تضربون في الأرض وتخبطون خبط عشواء"⁽⁵⁾.

(3) ﴿أُخْرِضْكُمْ﴾: أي: أخركم، فالأخرى هنا بمعنى المتأخّرة، تقول العرب: جاء فلان في أخريات النّاس. وأخرى القوم: أي: في أواخرهم، والتّقدير: في جماعتهم الأخرى، أي: المتأخّرة⁽⁶⁾، والمعنى في الآية: يعني أنّه يناديكم من خلفكم: (إلّي عباد الله، إلّي عباد الله)⁽⁷⁾.

(4) ﴿فَأَنْتَبِكُمْ﴾: أي: جازاكم على صنيعكم، وأصله اللّغوي يدلُّ على العود والرجوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 125]، أي: مكاناً يرجعون إليه مرّة بعد أخرى. والثّواب والمثوبة: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، وقيل: هو خاصّ

(1) الرّاغب، للفردات: (صعد).

(2) مكي بن أبي طالب، الهداية: 2/1154.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوى)، والرّاغب، للفردات: (لوى).

(4) الأبياري، اللوسوعة القرآنيّة: (لوى).

(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1458.

(6) أبو حيّان، البحر للحيط: 3/386، وابن منظور، لسان العرب: (أخر).

(7) ابن جرير، جامع البيان: 6/148.

بجزاء الطاعة⁽¹⁾، (أثابكم) "أي ألهاكم بذلك الغمّ لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة، وما أصابكم من القتل والجراح، فهو أنساهم بمصيبة صغيرة مصيبة كبيرة"⁽²⁾.

(5) ﴿غَمًّا﴾: أصل الغمّ لغةٌ يدلّ على التّغطية والإطباق، ومنه سُمّي الغمام؛ لأنّه يغطي ضوء الشّمس، وغمّه الأمر، أي: اشتمل الغمّ قلبه وغطّاه، وقيل: سُمّي الغمّ بذلك؛ لأنّه يستر وجه اللّذة والسّرور⁽³⁾، قوله: "﴿فَأَثَبَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾"، في الغمّ الأوّل والثّاني تأويلان: أحدهما: أنّ الغمّ الأوّل القتل والجراح، والغمّ الثّاني الإرجاف بقتل النّبيّ ﷺ⁽⁴⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

قد صرفكم الله - معشر المؤمنين - عن المشركين يوم أحد، وعفا عنكم حين انطلقتم في الأرض هاربين يوم الهزيمة، ممّا خالف بعضكم أمر النّبيّ ﷺ، فأظهر الله المشركين عليكم، والرّسول يدعوكم من خلفكم لعدم الفرار، فجازاكم الله على هذا غمومًا متوالية، كان أشدها عليكم ما أشيع من موت النّبيّ ﷺ، وقد أنزل الله بكم هذا، حتّى لا تحزنوا على ما فات من النّصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من القتل والتّكيل، وذلك بعد علمكم أنّ نبيّكم المعصوم لم يُقتل، فهوّن هذا عليكم ما أصابكم، والله سبحانه وتعالى خبير بأعمالكم، وأحوال قلوبكم.

❁ الإيضاح اللّغويّ والبلاغيّ:

دلالة ﴿إِذْ﴾:

تردُّ ﴿إِذْ﴾ في بداية الكلام في أمرٍ ذي شأنٍ بأنّ يكونَ ميثاقًا مؤكّدًا أو بيانَ نعمةٍ عظيمةٍ أو ارتكابِ ذنبٍ عظيمٍ، ففي مجيئها إيذانٌ بالتّنبيه على أمرٍ عظيمٍ قد وقع في زمنٍ ما، بحيثُ يستحقُّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوب)، والزّاغب، للفردات: (ثوب)، وابن منظور، لسان العرب: (ثوب).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/132.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غمم)، والتّيسابوريّ، غرائب القرآن: 2/282.

(4) اللّاورديّ، التّكت والعيون: 1/430.

مشهد الهزيمة
وتبعاتها
النّفسيّة، وأثر
نجاة النّبيّ
المعصوم في
علاج الكُؤُوم

تعظيم شأن
مخالفة أمر
رسول الله
وتركه في
أخراهم

أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَ (إِذْ) مَثَلًا لِلذِّكْرِ والتَّدْبِيرِ والعِظَةِ، فجاءت ﴿إِذْ﴾ هنا للتذكير بحالهم المزرية لِعِظَمِ فعلِهِم بانهزامِهِم، في حالِ عدمِ التفاتِهِم إلى أَحَدٍ، وتركِهِم رسولَ اللَّهِ ﷺ، وهو يدعوهم في آخراهم.

نكتة التعبير بالمضارع في ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ﴾:

عبر بالفعل المضارع في قوله ﴿تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ﴾، لاستحضار صورتهِهم المزرية وفزعِهِم وهم في حالة الإصعاد والإبعاد مستشعرين الخوف، وفي حالة عدم الالتفات إلى أَحَدٍ، كما تشعرُ الصيغة بأنَّ إصعادَهُم لم يكنْ دفعةً واحدةً، فكانوا مستمرين في الهزيمة حالاً فحالاً من غير توقُّفٍ لشدةِ الفزع⁽¹⁾.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ بين الكناية والمجاز:

يدلُّ معنى لَوِيَ الشيء على عطفه وثنيه، ثم صار كنايةً عن التَّوقُّفِ والانتظار، لأنَّ من شأنِ المنتظر أن يلوي عنقه، و﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ بمعنى لا تثنون أعناقكم على أَحَدٍ ولا تلتفتون، ويلزمه الفرار، ولهذا صار كنايةً عن الإمعان في الفرار والهزيمة، ويحتمل أن يكون الكلام على أصلِ المعنى اللغوي، أي لا تُعرجون ولا تنتظرون ولا تلتفتون هرباً⁽²⁾.

في التعبير كنايةً
عن الإمعان في
الفرار والهزيمة

كما يحتمل أن يكون اللَّيُّ هنا مجازاً عن الرَّحمة والرِّفق، والمعنى فَرَرْتُمْ لَا يَرَحْمُ أَحَدٌ أَحَدًا وَلَا يَرْفُقُ بِهِ، وَهَذَا تَمَثُّلٌ لِلْجِدِّ فِي الْهَرُوبِ حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ لَيَدُوسُ الْآخَرَ لَوْ تَعَرَّضَ فِي طَرِيقِهِ⁽³⁾، وتنوع التوجيه البلاغي السليم من سمات إعجاز القرآن.

التَّمَثُّلُ لانتزاع
الرَّحمة من
قلوب الهاربين
بالجدِّ في
الهروب

(1) الراغب، تفسير الراغب: 3/921.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 6/79، والراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (لوى).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/131.

للمبالغة في نفي
وقوع العطف
من أحد على
أحد

إجلال رسول
الله بصون
اسمه أن يُذكر
عند الإعراض
عنه

توبيخ المهزومين
للمعرضين عن
دعوة الرسول
لهم بالثبات
في القتال

كان رسول الله
أشجع
الناس، وأثبتهم
في ميدان المعركة

دلالة العموم في قوله ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾:

لما كانت كلمة ﴿أَحَدٍ﴾ نكرة واقعة في سياقِ النَّفي أفادتِ العمومَ،
بمعنى، لا تلتفتون على أيِّ أحدٍ، فلم يكنْ همُكم إلا أنفسكم.

ويحتمل أن يكونَ ﴿أَحَدٍ﴾، كنايةً عن النَّبي ﷺ وإنما كُنِّي عن
اسمِهِ إجلالاً لَهُ وَتَعْظِيمًا وَصَوْنًا لِاسْمِهِ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَ ذَهَابِهِمْ
وإعراضهم عَنْهُ⁽¹⁾.

مناسبة الإيجاز في قوله ﴿وَلَا تَلُونَّ عَلَى أَحَدٍ﴾:

في الكلام إيجازٌ بال حذف؛ إذ المعنى: ولا يُلوي أحدٌ على أحدٍ
منكم، فأوجزَ بالحذف⁽²⁾، وعبرَ بضمير الجمع إشارةً إلى الفرعِ
الذي أصاب المهزومين.

مناسبة التعبير بـ ﴿وَالرَّسُولُ﴾:

عبرَ بوصفِ الرسالة؛ للإشعارِ بأنَّ دعاءَهُ للفرَّارينَ يومَ أحدٍ
بالثباتِ كان بوصفه رسولاً، فكان الامتثالُ واجباً والانهازُ معصيةً،
ففيه توبيخٌ للمهزومين الفرَّارينَ عنه⁽³⁾. وَذِكْرُ الرَّسُولِ إِنَّمَا جَاءَ
فِي جُمْلَةٍ حَالِيَةٍ، لِيَنْعَى عَلَيْهِمْ فِرَارَهُمْ مَعَ كَوْنِ الْمُهْتَدِينَ عَلَى يَدِهِ هُمُ
المدْعُوينَ، فَلَمْ يَجِءْ مَقْصُودًا لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْهُ.

نكتة التعبير بقوله: ﴿فِي أُخْرَى كُفُّمُ﴾⁽⁴⁾:

لم يكتفِ بقوله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، فذكرَ الطَّرْفِيَّةَ المكانية؛
لِفَوَائِدِ هِيَ⁽⁵⁾:

1. لِلإِذَانِ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وهو يدعوههم

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 3/386.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/131.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 3/388، والبقاعي، نظم الدرر: 5/95، والآلوسي، روح المعاني: 2/304.

(4) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/526.

(5) الراغب، تفسير الراغب: 3/922، وابن عطية، للحرر الوجيز: 1/526، والزَّازِي، مفاتيح الغيب:

9/390، وأبو حيان، البحر المحيط: 3/386.

إليه، بما يدلُّ عليه حرفُ الجرِّ (في)، ففيه مدحٌ للنبيِّ ﷺ ومدحٌ شجاعته؛ فإنَّ الوقوفَ على أعقابِ الشُّجعانِ إنما هو للأبطالِ الأنجادِ، وكانَ ﷺ أشجعَ النَّاسِ.

2. في التعبيرِ بـ ﴿أُخْرِنُكُمْ﴾ دلالةٌ على أنَّ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، والمعنى، والرَّسُولُ يدعوكم بينَ جماعةٍ المتأخِّرينَ منكم أو بينَ الجماعةِ الأخرى الثَّابتةِ معه؛ لِيَكُونَ زيادةً في الغمِّ عليهم.

3. أفادَ التعبيرُ دعوةَ الرَّسُولِ المنهزمينَ إلى الاجتماعِ معه في جماعةٍ المتأخِّرينَ الأخرى لمحاربةِ العدوِّ.

قوله ﴿فَأَنْتَبَهُمْ غَمًّا بَعِيدًا﴾ بين الاستعارة التَّهْكُمِيَّةَ والمُشَاكَلَةَ:

لَمَّا كَانَ الثَّوَابُ مَخْتَصًّا بِالْخَيْرِ عَرَفًا؛ لِقَلْبَتِهِ فِيهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْغَمِّ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ التَّهْكُمِيَّةِ⁽¹⁾؛ لِيَكُونَ عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [آل عمران: 21]، إِذْ جَعَلَ الْغَمَّ مَكَانَ مَا خَرَجُوا لِأَجْلِهِ، وَهُوَ طَلِبُ الثَّوَابِ؛ لِيُفِيدَ التَّهْكُمُ تَذَكِيرَهُمْ بِمَا خَرَجُوا لَهُ وَتَنْدِيمَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَيَحْتَمِلُ الْكَلَامُ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُشَاكَلَةِ التَّقْدِيرِيَّةِ؛ لِأَنََّّهُمْ لَمَّا خَرَجُوا لِلْحَرْبِ خَرَجُوا طَالِبِينَ الثَّوَابِ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَ بَاءُوا مَعَهَا بِعِقَابٍ فَيَكُونُ كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ⁽²⁾:

أَخَافُ زِيَادًا أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ *** أَدَاهُمْ سُودًا أَوْ مُحْدَرَجَةً سُمْرًا
وَنُكْتَةً مَجِيءَ هَذِهِ الْمُشَاكَلَةِ أَنْ يُتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْكَلَامِ عَلَى مَا نَشَأَ عَنْ هَذَا الْغَمِّ مِنْ عِبْرَةٍ وَعِظَةٍ، كَمَا تَشْعُرُ الْمَشَاكَلَةُ بِتَوَجُّهِ عِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْغَمِّ.

الثَّوَابُ فِي
طَاعَةِ رَسُولِ
اللَّهِ وَالْغَمِّ فِي
مُخَالَفَتِهِ

التَّذَكُّيرُ بِمَا نَشَأَ
مِنْ الْغَمِّ مِنْ
عِبْرَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ

(1) الراغب، تفسير الراغب: 3/923، والبغوي، معالم التنزيل: 1/523، والرازي، مفاتيح الغيب: 9/390.

(2) البيت مِنَ الطَّوِيلِ، وَهُوَ فِي دِيوانِ الْفَرَزْدَقِ، ص: 169، وَالْأَدَاهُمْ جَمْعُ الْأُدْهَمِ، وَهُوَ الْقَيْدُ، وَالْمُحْدَرَجَةُ هِيَ السَّيَاطُ لِلْحَكْمَةِ الْقَتْلِ.

نكتة التعبير بالغَمِّ:

خرج الصحابة
طالبين للثواب
فلما خالفوا
أنابهم الغمُّ

لما كان الغمُّ في الأصل بمعنى التغطية ومنه الغمام؛ لأنه يُغَطِّي ضوء الشمس كما تقدّم في شرح المفردات ناسب ذكره هنا، فكأنَّ الغمَّ يسترُّ وجه اللذة والسُّرور الذي كان يحصل بالثواب والغنيمة لو لم ينهزموا⁽¹⁾.

دلالة الباء في قوله ﴿بَغَمٍّ﴾ بين السببية والمعاوضة والمصاحبة:

تحتمل الباء في قوله تعالى ﴿بَغَمٍّ﴾ ما يأتي⁽²⁾:

1. أن تكون سببية، والمعنى فأثابكم غمًّا بسبب غمٍّ أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له؛ ليكون الملام عليهم أشق للتذكير بما أصاب رسول الله ﷺ في ذلك الوقت.
2. أن تكون للمعاوضة، والمعنى إنَّكُمْ لما أذقتم الرسول غمًّا بسبب أن عصيتم أمره، قاله تعالى أذاقكم هذا الغمَّ، وهو الغمُّ الذي حصل لهم بسبب الانهزام وقتل الأحباب، والمعنى جازاكم من ذلك الغمِّ بهذا الغمِّ.
3. أن تكون للمصاحبة، وهو الظاهر، ويُلحَّح فيها معنى الملاصقة الذي هو أصل معنى الباء⁽³⁾، والمعنى غمًّا متصلاً بغمٍّ مُلتصقاً به؛ للإشارة إلى جملة الغموم التي دخلت عليهم من الاغتمام بما أُرْجِفَ به من قتل رسول الله ﷺ، والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر وغيرها، وهذا الوجه هو الأولى؛ لأنه ليس يعني بذلك غممين، بل غموماً كثيرة متتابعة متوالية طويلة، فيكون التكرير على معنى استيعاب الغموم⁽⁴⁾.

دلالة تنكير قوله تعالى ﴿غَمًّا يَغَمُّ﴾:

لما كان الظاهر أن تكون الباء على معنى المصاحبة، وكان المعنى غموماً كثيرة متواصلة ملصقاً أحدها بالذي بعده دل التنكير في الغممين على معنى التكثر والتفخيم، بمعنى تكثير الغموم وتفخيمها⁽⁵⁾.

(1) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/283.

(2) الزمخشري، الكشاف: 1/427، وابن عطية، للحرر الوجيز: 1/526، والرازي، مفاتيح الغيب: 9/391، وأبو حيان، البحر المحيط: 3/387.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/361.

(4) الطيبي، فتوح الغيب: 4/303.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/100.

دلالة التعبير بقوله ﴿لَكَيْلًا﴾:

لما كانت اللام بمعنى التعليل، وكانت (كي) حرفاً مصدرياً مفيداً معنى الاستقبال مشرباً معنى التعليل دلّ اقتران لام التعليل بـ (كي) على تأكيد تعليل توالي الغم وتتابعه؛ للعناية بالمعلل في قوله ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾، وتقريره في نفوس المخاطبين⁽¹⁾.

قوله ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ بين الكناية والمجيء على الأصل:

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ الْكِنَايَةِ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَجَازَةُ بِالْغَمِّ بَعْدَ الْغَمِّ سَبَبًا لِلْحُزَنِ لَا لِعَدَمِهِ كَانَ التَّعْبِيرُ بِنَفْيِ الْحُزَنِ بِذِكْرِ الْإِلَازِمِ، وَالْمَرَادُ هُوَ الْمَلْزُومُ مَعَ لَازِمِهِ، وَالْمَعْنَى أَتَابَكُمْ غَمًّا بَغْمٍ؛ لِتَتَمَرَّنُوا عَلَى تَجَرُّعِ الْغُومِ، وَتَضَرَّوْا بِاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ، وَلَا زَمَهُ هُوَ، فَلَا تَحْزَنُوا فِيمَا بَعْدُ عَلَى فَائِتٍ مِنَ الْمَنَافِعِ وَلَا عَلَى مَصِيبٍ مِنَ الْمَضَارِّ⁽²⁾.

التمرن على
احتمال الشدائد
يمنع من الحزن
على فوت المنافع
ومصاب المضار

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ غَيْرِ مَلَازِمَةٍ فِيهِ، وَيَكُونُ اللَّزُومُ فِي دَلَالَةِ ﴿فَاتَكُمْ﴾، وَالْمَعْنَى فَأَلْهَأَكُمْ بِذَلِكَ الْغَمِّ لَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ، فَهُوَ أَنْسَاهُمْ بِمُصِيبَةٍ صَغِيرَةٍ مُصِيبَةً كَبِيرَةً⁽³⁾.

دلالة تكرير ﴿وَلَا﴾ النافية:

أَفَادَ تَكْرِيرُ (لَا) تَأْكِيدَ نَفْيِ الْحُزَنِ وَتَقْرِيرَهُ، كَمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحُزْنَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْمَنَافِعِ غَيْرُ الْحُزَنِ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْمَضَارِّ، فَلِكُلِّ نَوْعٍ أَثَرُهُ وَتَأْثِيرُهُ، كَمَا أَنَّ تَكْرِيرَهَا يُبَعِّدُ الْقَوْلَ بَزِيَادَتِهَا⁽⁴⁾ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَانِي غَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ، فَيَكُونُ طَلَبُ نَفْيِ الْحُزَنِ ثَابِتًا وَمَقَرَّرًا.

(1) ابن هشام، مغني اللبيب: 1/242، والسامرائي، معاني النحو: 3/352.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/388، والطبي، فتوح الغيب: 4/303، والخفاجي، غناية القاضي: 3/142، والقونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 6/362.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/133.

(4) الخفاجي، غناية القاضي: 3/142.

كل شيء بتقدير
الله، ما فات
المؤمن وما
أصابه

بديع الطباق في قوله ﴿مَا فَاتَكُمْ﴾ و﴿مَا أَصَبَكُمْ﴾:

لَمَّا كَانَ الْفَوْتُ يَدُلُّ عَلَى بُعْدِ شَيْءٍ مُرْغُوبٍ فِيهِ عَنِ الْإِنْسَانِ بِحَيْثُ يَتَعَذَّرُ إدْرَاكُهُ، وَكَانَتْ الْإِصَابَةُ تَدُلُّ عَلَى ضَرَرٍ يَلْحُقُ بِالشَّيْءِ وَيَنْزِلُ بِهِ أَفَادَ الْجَمْعُ بَيْنَ ﴿مَا فَاتَكُمْ﴾ و﴿مَا أَصَبَكُمْ﴾ طَبَاقًا لَطِيفًا، ثُمَّ إِنَّهُ يُؤْذِنُ بِطَبَاقٍ آخَرَ مُقَدِّرٍ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِّ؛ لِأَنَّ مَا فَاتَ هُوَ النَّافِعُ وَمَا أَصَابَ هُوَ مِنَ الضَّارِّ⁽¹⁾.

حسن التذييل بقوله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

أَفَادَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فَوَائِدَ، هِيَ:

كونُ الله خيرًا
بأعمال العباد
يقتضي إحسانها
وتجنب إساءتها

1. التَّهْدِيدُ لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا مُخَالِفًا لِأَمْرِ اللَّهِ أَوْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقْتَضِي وَجُوبَ الْحَذَرِ مِنَ الْمَخَالَفَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ خَيْرًا بِعَمَلِنَا فَسَوْفَ يُحَاسِبُنَا.

2. وَخَصَّ الْعَمَلَ هُنَا وَإِنْ كَانَ تَعَالَى خَيْرًا بِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالنِّيَّاتِ، تَنْبِيْهَا عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنْ تَوَلِيَةِ الْأَدْبَارِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْفِرَارِ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهَا أَعْمَالٌ تُخْشَى عَاقِبَتُهَا وَعِقَابُهَا.

3. أَفَادَتْ الْجُمْلَةُ عُمُومَ الْمَعْنَى، فَالْخَطَابُ وَإِنْ كَانَ لِلْحَاضِرِينَ وَفَتْ نَزُولِ الْقُرْآنِ، لَكِنَّهُ قُصِدَ بِهِ الْعُمُومُ لِكُلِّ مُخَاطَبٍ؛ لِيَكُونَ الْخَطَابُ لِكُلِّ تَالٍ لِلْقُرْآنِ مُخَاطَبٌ بِهِ.

4. لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى مَعْنَى الْعُمُومِ أَفَادَتْ أَنَّهَا تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ.

❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الصَّعُودُ وَالْإِصْعَادُ:

قوله تعالى: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ هو بضمّ التاء وكسر العين، مضارع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/133.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 3/389.

أَصْعَدَ، والأكثرُونَ على أَنَّ الإِصْعَادَ هُوَ الذَّهَابُ فِي مَسْتَوَى الْأَرْضِ وَبَطُونِ الْأُودِيَةِ؛ وَهُوَ مَا حَدَثَ يَوْمَ أَحَدٍ؛ إِذْ كَانَ انْحِيَاظٌ مِنْ فَرٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ انْكَشَافِ ظُهُورِهِمْ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَعَلَيْهِ تَدَلُّ الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ الْمَرْوِيَّةُ عَنْ أَبِي رُوَيْحٍ: (إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي) (1). أَمَّا الصَّعُودُ فَهُوَ مَا يَكُونُ عَلَى الْجَبَلِ وَالسُّلَّمِ، وَنَحْوَهُمَا مِمَّا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ؛ وَلِذَا لَمْ يُعَبَّرْ بِهِ فِي الْآيَةِ (2). وَالْفَرْقُ بَيْنَ الإِصْعَادِ وَالصَّعُودِ، أَنَّ الإِصْعَادَ فِي مَسْتَوَى الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطِ، وَالصَّعُودَ يَكُونُ فِي ارْتِفَاعٍ، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَّاءِ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ، وَالزَّجَّاجِ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ صَعَدُوا فِي جَبَلٍ أَحَدٍ فَرَارًا (3)، قَالُوا: "الْهَرَبُ فِي مَسْتَوَى الْأَرْضِ، وَبَطُونِ الْأُودِيَةِ وَالشَّعَابِ إِصْعَادٌ لَا صُعُودَ، قَالُوا: وَإِنَّمَا يَكُونُ الصَّعُودُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسَّلَالِيمِ وَالدَّرَجِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الصَّعُودِ الِارْتِقَاءَ وَالِارْتِفَاعَ عَلَى الشَّيْءِ عَلَوًّا، قَالُوا: فَأَمَّا الْأَخْذُ فِي مَسْتَوَى الْأَرْضِ الْهَبُوطُ، فَإِنَّمَا هُوَ إِصْعَادٌ، كَمَا يَقَالُ: أَصْعَدْنَا مِنْ مَكَّةَ، إِذَا ابْتَدَأَتْ فِي السَّفَرِ مِنْهَا وَالْخُرُوجُ، وَأَصْعَدْنَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى خِرَاسَانَ، بِمَعْنَى خَرَجْنَا مِنْهَا سَفَرًا إِلَيْهَا، وَابْتَدَأْنَا مِنْهَا الْخُرُوجَ إِلَيْهَا" (4).

(1) ابن عطية، الحرر الوجيز: 1/525.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 6/145، والآلوسيّ، روح المعاني: 2/303.

(3) اللّاوردي، التّكت والعيون: 1/429.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 6/146.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 6، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-58-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 6: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-58-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»